التعايش الإجتماعي في ظل المشتركات العقدية والدينية

د. صفاء عبد السلام مهدي الحيالي
كلية الإمام الأعظم - بغداد

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: إن تحديد جوهر العلاقة بالآخرين، لا ينفك عن رصد واقع المجتمع العربي الإسلامي، الذي أُدخِل ومنذ القرن التاسع عشر في تاريخ غير تاريخه، عن طريق جريمة الاستعمار الغربي، الذي تعمد طمس تاريخ شعوبه الإسلامية، وتشويه ثقافته وحضارته التي تعبر عن روحه التاريخي من جهة، وعن معاناته من تحديات تأكيد الذات من جهة أخرى، وسط عالم تسارعت فيه الاكتشافات والاختراعات العلمية، وتنافست فيه المراكز الكبرى للاقتصاد والمال والتكنولوجيا لاكتساح أكبر مساحة من التأثير والهيمنة.

لقد باتت مقولات التفاهم والتعايش بين الشعوب في إطار مفهوم (الاعتراف بالآخرين)، موضوعاً من موضوعات العصر الرقمي، وهو موضوع جديد بالنسبة للغرب، الذي أثبت أن واقعه الثقافي والتاريخي والحضاري لم يتشكل في (إثبات ذاته) إلا من خلال نفي وإقصاء، وتشويه صورة الآخر، كما عبرت أطروحة العولمة ونهاية التاريخ عن قمة تمركزه حول الذات، وتبنيه لأسطورة الكمال المزعوم.

أما الإسلام فإنه يتجاوز هذا المنطلق الذي فرضته الثقافة الغربية في التعايش مع الآخر وعياً وممارسةً، لأن الاعتراف بالآخر ليس إشكالاً اقتضته تحديات المرحلة الراهنة وإنما هو جزء من عقيدة المسلم، وأن الله أراد للناس أن يكونوا قبائل وشعوباً متنوعةً، ليتعارفوا، وليحققوا التفاعل المتحضر والعيش الآمن، داخل مساحات شاسعة وبيئات مختلفة تضم أسرة إنسانية واحدة.

وتاريخنا لم ينتج الوحدة التي صنعها المسلمون بعلاقاتهم الودية مع الآخرين عن عنف وإكراه انطلاقا من قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[1] القسري أو الانصهار التام في كل شيء، وإنما أسسوا لوحدة قائمة على احترام الانسان ومعتقداته لا اكراه في الدين حقائق التاريخ والمجتمع، لأنها حقائق طبيعية متناغمة مع نواميس الوجود الإنساني. إلا أن استحضار واقع المجتمع العربي الإسلامي في ظل التحديات العالمية المعاصرة، يوحي بارتباك العلاقة بين الذات- والآخر (الداخلي). وتتضخم الإشكالية أكثر في علاقتنا بالآخر- والغير (الخارجي)، الذي يغيب شعورياً ولا يحضر إلا في لحظات التجيير لتحقيق وصولية اجتماعية، أو دبلوماسية سياسية، غير مقررة بإيمان عميق بمبدئية القيم الإسلامية في ضرورة استحضار الآخر، تطبيقاً وممارسةً، وسلوكاً، كما طبقها رسولنا الكريم وشهدت

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦.

بها صفحات تاريخنا المجيد.

أولاً: دواعي اختيار الموضوع واهميته:

تظهر اهمية البحث في هذا الموضوع من نواحٍ أبرزها:

١. اثبات أهمية التعايش الاجتماعي وصلته الوثيقة بالعقيدة، ومن ثم لا يمكن الاستغناء عنه في حال.

٢. توجيه المجتمع إلى ضرورة التزام التعايش في ظل المشتركات، الذي هو سر سعادتهم واستقرار أمنهم وإخراجهم من الضيق والضنك والفوضى التي يعانون منها.

٣. أن تصرف الجهود إلى اقناع الناس بضرورة الاقتناع بقبول الآخر؛ لما له من الانعكاسات الايجابية على المجتمعات.

٤. انعكاسات التعايش الاجتماعي يخلق توازناً عاماً وشاملاً داخل النفس والمجتمع، توازناً من شأنه أن يرقى بالمجتمعات معنوياً ومادياً لتحقيق اسباب السعادة.

ثانياً: الدراسات السابقة:

لا شك في أن هناك دراسات اجتهدت في بيان اهمية التعايش المجتمعي فهي كثيرة وقد كُتبَ عنها الكثير ولا ادعي أني جئت بالجديد، ولكن في هذا البحث الذي لا يخلو من خلل، فقد حاولت أن أبين آثار التعايش المجتمعي وانعكاساته الايجابية في المجتمع من محورين (المعنويّة والماديّة).

ثالثاً: اهداف البحث:

يسعى الباحث – في المقام الأول – إلى تحقيق هدف جليل وهو إبراز التعايش وانعكاساته الايجابية على المجتمعات ويمكن اجمالها في.

١. الانعكاسات المعنوية في تقوية روابط المجتمع.

٢. الانعكاسات المادية في الحفاظ على المجتمع أمنياً واقتصادياً.

رابعاً: المنهجية المتبعة في البحث:

السمة الغالبة للمنهج الذي سلكته في هذا البحث ما يأتي:

١. الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة من السنة النبوية، واقول العلماء من السلف والخلف.

٢. التركيز على الانعكاسات المعنوية والمادية في بناء التعايش في المجتمع وديمومته.

خامساً: خطة البحث:

اقتضى موضوع البحث، ومنهجيته المتبعة فيه أن يكون مقسماً إلى: مقدمة ومطلب تمهيدي بينت فيه بعض المصطلحات المتعلقة بشكل مباشر بموضوع البحث، وخمسة مباحث، وخاتمة وعلى النحو الآتي:

تمهيد في بيان معاني بعض مفردات البحث.

- المبحث الأول: حث القران الكريم على الحوار مع الآخر.
- المبحث الثاني: مفاهيم التأصيل القرآني لضوابط العلاقة مع الآخر.
- المبحث الثالث: الأسس الاسلامية للعلاقة مع الآخر.
- المبحث الرابع: الضوابط المنهجية للعلاقة مع الآخر.
- المبحث الخامس: الجانب العملي لضوابط العلاقة مع الآخر في المجتمع الاسلامي.
- الخاتمة والتوصيات
- المصادر والمراجع

وفي ختام هذه المقدمة أقول: هذا عمل بشري يعتريه النقص والخلل، ولكنني ابتغيت الحق والصواب، فأرجو ان يكون هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى، وأن أكون قد وُفقتُ في دراستي **التعايش الاجتماعي في ظل المشتركات العقدية والدينية** بما يخدم العمل لهذا الدين الذي جعله الله تعالى خاتم الأديان، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

- **مطلب تمهيدي: مفهوم الآخر في اللغة والاصطلاح:**

الآخر في اللغة: عند البحث في معاجم اللغة العربية عن مفردة الآخر نجد انه يقصد بها «.. أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد أو بمعنى غير»[(١)] .

فآخر هو: «أحد الشخصين أو الشيئين ويكونان من جنس واحد أو هو ما يدل على فرق، على تمييز بين شخص أو شيء مقصود وأشخاص أو أشياء من الفئة ذاتها والجنس نفسه»[(٢)].

أما في الاصطلاح: يثير الفهم الاصطلاحي للآخر نوعاً من الإرباك بسبب اختلاف الزاوية الثقافية والمعرفية التي يُنظرُ بها للكلمة، فالآخر في الفلسفة الأوربية الحديثة يحمل معنى مضاد لمعنى الذات، أي كل ما هو غير نفسي- أنا- يعد من الآخرين الذين قد يتصفون بصفات دونية تحول دون الاختلاط معهم، فيكون هذا الآخر عامل مهم في تأكيد هوية الذات[(٣)].

وعُرف :بأنه تعبير عام يغطي الحالات التي يعترف فيها بالاختلافات اللغوية والثقافية والتي تشكل الأساس لهوية نحن[(٤)] .

(١) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، ط ٢، إستانبول، دار الدعوة، ١٩٨٩م. ٨-٩.
(٢) المنجد في اللغة العربية المعاصرة: أنطوان نعمة وآخرون، ط٣، بيروت، دار المشرق، ٢٠٠٠م. ١١.
(٣) ينظر: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه: الطاهر لبيب، بحث (مصطفى عمر التير)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،١٩٩٩م. ص٤١٩-٤٢٠
(٤) ينظر: المصدر السابق: ٥٤.

وعُرف: بأنه «يعني شخصا آخر، أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية موحدة، وبالمقارنة مع ذاك الشخص أو المجموعة يتحدد الاختلاف معه أو معها[1].

(١) ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات: موسى إبراهيم الإبراهيم، ط٢، دار عمار، عمان، الأردن، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م. ١٥٦ وما بعدها.

المبحث الأول

حث القرآن الكريم على الحوار مع الآخر

حث القرآن الكريم في آيات كثيرة على الحوار الهادف البناء مع الآخر خاصة أهل الكتاب لبيان الحق وإزالة الإبهام والغموض حول القضايا المختلفة فيها، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[1] فهذه الآية الكريمة ونظائرها تشكل الأرضية الصلبة التي يمكن تأسيس الحوار عليها للوصول إلى الحق[2].

ومن يتدبر الآيات القرآنية المتعلقة بالحوار يجد بكل وضوح أن القرآن الكريم قد تناول القضايا الأساسية في الحوار مثل: أسبابه ودوافعه وأغراضه وأنواعه، وأصناف المحاورين، وأخلاقيات الحوار ودائرته وأصوله وضوابطه، وما إلى ذلك. ومن يتأمل تلك الآيات يخرج برؤية قرآنية واضحة حول الحوار.

وبإمكاننا دراسة بعض أصول الحوار مع الآخر في ضوء الآيات القرآنية وعلى النحو الاتي.

١- الإيمان بوحدة أصل الأديان السماوية: من الأصول الثابتة في الإسلام الإيمان بأصل وحدة الأديان السماوية التي أنزلها الله سبحانه منذ فجر تاريخ البشر على وجه المعمورة وكلف الأنبياء عليهم والسلام بتبليغها والدعوة إليها. قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[3] فالإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام من مستلزمات العقيدة الإسلامية، ولن يكون المسلم مسلماً إذا لم يؤمن بالأنبياء جميعاً[4].

ولاشك أن هذا الإيمان يشكل أساساً لتعامله مع الآخرين من أهل الكتاب وغيرهم، قال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى: (١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م. ٣/ ١٩٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٤) ينظر: بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي. ٢/ ٢٢٥. والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة. ١/ ٢٨٤.

﴿ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ﴾ ﴿مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[1] فأصل الإيمان برسالات الأنبياء السابقين في صورتها الحقيقية البعيدة عن التحريف والتبديل يشكل نقطة الانطلاق لدى المسلم في نظرته للآخر غير المسلم من أهل الكتاب وغيرهم والتحاور معهم[2].

ومن يحاور أتباع الأديان السماوية يجب أن يضع هذا الأصل نصب عينيه فالأديان السماوية في أصولها الصحيحة ودعوتها إلى الإيمان بمبادئ الحق والخير والعدل واحدة، وكان الاختلاف في التفاصيل والجزئيات الفرعية التي اقتضتها مراعاة تطور البشرية وتقدمها العقلي والحضاري.

٢- الانطلاق من المشتركات: يجمع الإيمان بوحدة أصل الأديان السماوية أتباع هذه الأديان ويمكن أن يكون ذلك أساساً لحوار جاد وهادف بينهم، حيث يوفر ذلك أرضية مشتركة للجميع.

ومن هنا كان من أصول الحوار في القرآن الكريم أن يبدأ الحوار مع الآخر من المسلمين وغيرهم من النقاط المشتركة التي عبر عنها التنزيل بـ « **كلمة سواء**». قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾[3] إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، وهي أن نوحِّد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئًا؛ ولأن تحديد النقاط المشتركة بين المتحاورين منذ البداية والبدء بها يساعد على تشخيص نقاط الخلاف وتحرير محل النزاع ومن ثم محاولة معالجتها برويِّة وتدرج[4].

والكلمة السواء التي ذكرها القرآن قد فسرت بأنها ما لا يختلف فيه الرسل والكتب، أي القرآن والتوراة والإنجيل[5]، ويفسرها ما بعدها وهي عدم عبادة غير الله، وعدم جعل الشريك له تعالى وعدم إتباع البشر كائناً من كانوا فيما أحدثوا من تحليل وتحريم[6].

والجميع يقف أمام كلمة سواء على مستوى واحد فلا يعلو أحد على أحد ولا يتعبد أحد أحداً، وهي كلمة عدل كما قال الطبري: ولا يرفض الدعوة إلى البدء من النقاط المشتركة إلا من كان متعنتا مفسدا لا يريد

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.
(٢) ينظر: التفسير والسيط: ٢٨٥/١
(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.
(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٩٨٠م، ج٣ ص٢١٣. وغريب القرآن: أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، المتوفى سنة: (٣٣٠هـ)، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر دار قتيبة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م. ١ /٢٨١.
(٥) ينظر: تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٨ م. ١ / ١٦٢.
(٦) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المطبوع على حاشية شيخ زاده: عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ النشر.١ /٦٣٥.

الرجوع إلى الحق القويم[١].

إن هذه الآية الكريمة: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ تشكل أساساً وأصلاً ثابتاً للحوار والتفاهم بين المسلمين وغيرهم فهي تدعو الجميع إلى الكلمة المتفق عليها بين جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام وليست مختصة بأحد دون الآخر بل هي مشتركة بين الجميع وهذا الموقف في منتهى العدل والإنصاف في الحوار والجدال[٢].

أن العناية بالمشتركات يسهم في تقليل الفجوة بين طرفي الحوار أو أطرافها وتزيد من فرص التلاقي ودرك كل طرف لما لدى الآخر.

كما أن من شأن البدء بالنقاط المشتركة إزالة سوء التفاهم بين الطرفين أو الأطراف حول بعض النقاط التي لا توجد عليها خلاف في الأصل، ولكن نظراً لعدم تحديد موقف كل طرف منها منذ البداية تعرقل سير الحوار وتمنع وضوح الرؤية، وتُؤثر على قضايا أخرى في الحوار.

المبحث الثاني: مفاهيم التأصيل القرآني لضوابط العلاقة مع الآخر:

أ- المفهوم التنظيري: ظهر الإسلام الذي جعل في كل تشريعاته وتنظيماته مبدأ المساواة ووحدة الاصل (خلق من تراب وطين) ومواقفه الفكرية الإنسانيةَ أساساً لدراسته كل المواقف والنزاعات والخلافات، في زمن عدم الاعتراف بحق الآخر دينياً وحضارياً، وقد سجل التاريخ البشري هذا الإشكال المتبادل للآخر في الفكر، والواقع، والممارسة والتطبيق.

فمفهوم الآخر في الحضارة الفرعونية: كان قائماً على أساس التفاوت الطبقي بين الحكام والعبيد، وكانت العلاقة بين فرعون ورعيته قائمة على تكريس نظام عبودية الآخر ونفيه وإبادته.

وفي الحضارتين الإغريقية والرومانية: وبقدر ما أنتجتا من علوم ومعارف ذات قيم إنسانية، «تؤكد على ضرورة أن يعيش الإنسان وسط أقرانه وكفاحه من أجل الشعور بحب الآخرين والإحساس بقيمة الحياة في وسط الجماعة...»[٣]. وفي الوقت ذاته ركزتا في المجال الاجتماعي على الاحتفاظ بمبادئ الاستعباد التي حكمت على الآخر بالنظرة الدونية والاحتقار، وسلب إرادته.

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٠٦/١. وفي ظلال القرآن: سيد قطب، طبعة دار الشروق، بيروت ١٩٨٨م.٤٨٣/٦.

(٢) الآية وإن كانت في سياق الحديث مع النصارى إلا أن كلمة أهل الكتاب تشمل اليهود والنصارى في الآية كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين. ينظر: تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ط١، - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. ١/ ٨٥. وتفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي الشافعيّ المتوفى: (٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م. ١/ ٢٥٧.

(٣) نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان: جوزيف فوجت ترجمة دمينرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة/ مصر عام ١٩٩٩. ٧.

وبعد مجيء الديانة اليهودية ثم تجديد العلاقة مع الآخر المغاير، من خلال تطويع النص الديني وإغنائه بمعايير أثبتوا بموجبها أنهم شعب الله المقدس كما جاء في سفر التثنية: "لأنك شعب مقدس للرب إلهك"[١]. فغذَّت تلك النصوص نمو الوعي العرقي بفكرة الشعب المختار، الجنس المتفوق على الآخر، كُتب له تاريخ مقدس خاص لا يمكنه من الاندماج في أمة أخرى ولو عاش في ظلها أجيالاً. وتحول هذا الوعي العنصري إلى درجة بات ظنهم يوحي لهم بأنهم خلقوا من عنصر الإله.

أما بقية الشعوب؛ فمخلوقات حيوانية سخرها الله لخدمتهم، كما امر عزرا[٢] فقال: «وكل أولئك الذين اتخذوا زوجات أجنبيات طلقوهن مع أولادهن»[٣].

فهذا الرفض المطلق للآخر تجاوز البعد العرقي لجهة رفض دم الآخر بالزواج، لتشمل أيضاً رفض ديانته وثقافته وصور سلوكه[٤].

وبالنسبة للديانة المسيحية، فإنها قربت المؤمن بها إلى الزهد والانقطاع عن الحياة الدنيا وشؤونها، وتركت غيره منضوياً تحت لواء الرهبانية والزهد، بعيداً عن حقوق الرب ولا يستحق الدخول فيها، وبالتالي فهو محروم من غفران الكنيسة، ومطرود من مملكة الرب فتعاليم السيد المسيح كما في إنجيل لوقا يقول: «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله، لأن دخولَ جَملٍ من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله»[٥].

وبذلك تم تقعيد المقولة التاريخية المسيحية: (أعطى ما لقيصر لقيصر واعطى ما لله لله)[٦] على أساس أن الآخر المسيحي أو غيره من الديانات الأخرى وبالأخص الدين الإسلامي الذي يبسط نفوذه إلى الفضاء المسيحي نفسه، فتوّجت العلاقة به حروب الفرنجة المعروفة بـ(الحروب الصليبية)[٧].

(١) سفر التثنية: إصحاح ٢/١٤.

(٢) عزرا اسم عبري معناه "عون" والاسم نشأ كاختصار لأسم عزريا وهو: السفر الخامس عشر من أسفار العهد القديم حسب ترتيب الأسفار الحاضرة. وكان في الأصل جزءًا من عمل يتألف من أسفار أخبار الأيام الأول، والثاني، وعزرا ونحميا. وقد كتب هذا الكتاب الشامل بقلم رجل واحد، في وقت واحد. وسفر عزرا يتمم أخبار سفري الأيام، والأسلوب فيها كلها أسلوب واحد. ويعتبر عزرا ونحميا سفرًا واحدًا في عدد الأسفار العبرية في العهد القديم. عزرا ١: ١-١٠: ٤٤.

(٣) عزرا ٤٤/١٠.

(٤) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية: روجيه جارودي.٦٨.

(٥) إنجيل لوقا إصحاح ١٨ فقرة ٢٤.

(٦) كلمة مقتبسة من الإنجيل من كلام السيد المسيح عليه السلام، وقالها السيد المسيح عندما سأله التلاميذ عن شرعية أن يدفعوا الضرائب، فقال لهم: إن النقود عليها صورة قيصر، ثم قال هذه الجملة « فاعطوا ما لقيصر لقيصر «. اما بالنسبة لما جاء في الإنجيل فيجب علينا ألا نكذبه أو نصدقه، فقد نكذبه ويكون قد قاله فعلا السيد المسيح، وقد نصدقه ويكون موضوع. وعدم التحدث فيه أيضا له فائدة احترام الاخر.

(٧) الآخر بوصفه مفهوماً حول طبيعة تشكل مفهوم الآخر في الوعي الإنساني: ذاكر آل جيل، مجلة الكلمة، العدد ٤٠ س

كان هذا هو واقع حدود التعامل مع المخالف في العالم وموقف أصحاب الديانات والحضارات من الآخر، قبل مجيء الإسلام، إقصاء، إلغاء، إبادة، اضطهاد...

فما هي اللبنات العالمية الجديدة التي قدمها الدين الإسلامي كنموذجٍ للارتقاء بالكرامة الإنسانية؟

لقد تميزت رؤية الإسلام في مسألة النظر إلى الشرائع والملل والنحل الدينية غير الإسلامية، والتعامل مع المنتمين لها والمعتنقين لعقائدها، بالموقف الوسطي التكريمي للإنسان، الذي قرر وحدة النفس البشرية، وأن دين الله واحد من آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد r، وأن الشرائع السماوية متعددة بتعدد أزمنة أمم النبوات والرسالات[1].

وبهذه الرؤية الإسلامية، تحققت آية التنوع والاختلاف، والتمايز، والتعدد، في إطار وحدة الدين ووحدة العقيدة الإلهية.

وتأسس لأول مرة في تاريخ الفكر الديني البشري أول ميثاق لحقوق الإنسان في العالم، وهو الميثاق الذي تجاوز بكثير حدود الاعتراف النظري بالآخر المخالف، إلى ضرورة تفعيل هذا الاعتراف من خلال القبول به ومحاورته، والتمكين له، وتأمينه إلى حيث جعله في الشريعة الإسلامية جزءاً من الذات الدينية الواحدة.

إن الإسلام في تعامله مع الذين لم يعتنقوه قد أضاف إلى تقريره وحدة الإلوهية والربوبية لكل العالمين، عقيدة الإيمان بكل الكتب السماوية التي نزلت، وجميع النبوات والرسالات التي سبقت، وسائر الشرائع الإلهية التي توالت منذ آدم إلى خاتم النبيين محمد r.

إذ نجد أن الإسلام أنصف أهل الكتاب، فأثاب أهل الإيمان والعمل الصالح منهم، وبشّرهم بأنهم لا خوف عليهم أبدا، ولا هم يحزنون في الدنيا والآخرة.

وقد أصَّل القرآن الكريم لأسس الحوار والاعتراف بالآخر نظرياً من خلال العديد من الآيات نورد منها، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [2]. وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [3]. [4]

---

١٠ صيف ٢٠٠٣. ١٢٣.

(١) ينظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد المتوفى سنة: (١٤٢٩هـ)، دار العاصمة، ط١، ١٤١٧ هـ. ٧٤.

(٢) سورة البقرة: الاية٦٢.

(٣) سورة الحج: من الاية٤٠.

(٤)((ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط١ - ١٤٢٢ هـ، ١/ ٢٩. وتفسير

ب المفهوم التطبيقي:

أ- التأصيل القرآني: إن منهج الحوار مؤسس على مفهوم الحرية التي يعدّها الإسلام قيمة كبرى، لاتصالها بغريزة الإنسان وطبيعته وفطرته، فهي حق أساسي من حقوق الإنسان يلامس عقيدته، وانتماءه وفكره وشعوره وطقوسه، وتراثه، بها تتشكل شخصيته وكرامته، وتتحدد مسؤوليته في بناء مجتمعه، والحفاظ عليه من النزاع القائم على رفض سنة الاختلاف.

لهذا السبب انتقل بنا القرآن الكريم من المستوى النظري في الاعتراف بالآخر إلى المستوى التطبيقي العملي، ليعلّمنا أن مفهوم الحوار في الإسلام له معايير وضوابط وأصول ينبغي الالتزام بقواعدها للتحاور مع المخالف وفتح العلاقة معه.

وقد وردت صور متعددة لهذا التوجيه الرباني عبر قصص الأنبياء وفي تاريخ الدعوة الإسلامية، كما وردت في السنة النبوية العديد من التوجيهات والتعاليم النبوية التي ركزت مبادئ الحرية وأسست للمنهج التربوي الأخلاقي الذي سار عليه الصحابة الكرام.

يقول المولى سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا ﴾ ﴿بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1]، فنص الآية واضح، في أمر المسلمين بالمبادرة إلى دعوة الآخر المخالف عقدياً إلى مائدة الحوار للبحث والمدارسة دعاؤهم إلى كلمة فيها إنصاف بينهم[2].

«النجاح المحقّق والدائم في الأعمال يتوقف على الأسلوب الناجح والمنهج المعقول، والخطة السليمة، وبما أن غرس العقيدة في القلب ليس أمرا سهلا، فيحتاج ذلك إلى حكمة في الخطاب، وإثارة العاطفة، وإقناع العقل، وتنبيه الفكر»[3].

كما علّم أنبياءه وأرشدهم إلى أفضل السبل وأنجح الطرق لإدارة الحوار النافع المثمر، الذي يرتفع بمستوى التفكير إلى نور المعرفة واليقين، فيتبين الحق ويتضح الرشد. قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[4].

الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي المتوفى سنة: (١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم. ١٦/ ٩٧٤٦.

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣/ ١٩٣ وروح المعاني: ٣/ ٢٢٠.

(٣) التفسير الوسيط للزحيلي: ٢/ ١٣١٨.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٥.

النجاح المحقّق والدائم في الأعمال يتوقف على الأسلوب الناجح والمنهج المعقول، والخطة السليمة، وبما أن غرس العقيدة في القلب ليس أمرا سهلا، فيحتاج ذلك إلى حكمة في الخطاب، وإثارة العاطفة، وإقناع العقل، وتنبيه الفكر [١].

ومثاله ما أمر الله به موسى وهارون عليهما السلام في مخاطبة فرعون وهو جبار طاغية، فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [٢].

إن الحوار كما أصّل لضوابطه القرآن الكريم في المستوى التطبيقي، هو استعداد نفسي لقبول الآخر، ومعرفة ما عنده، والاستماع له، والقدرة على إقناعه بالتي هي أحسن، لذلك ركّز على الدعوة لتجنب الانفعال، والتعالي والتعصب، والغلو، مراعاة للخصوصيات النفسية لكل طرف من المتحاورين، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٤].

الله في الآية واضح وبين، وحكمها باقٍ في هذه الأمة، ولذلك: لا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم، ولا كنائسهم، ولا رهبانهم، ولا أن يتعرض لما يؤدي إلى ذلك.

وبذلك يتضح ما ذكر القرطبي: "أن في هذه الآية ضرباً من ضروب الموادعة والملاينة، وأن فيها دليلاً على وجوب الحكم بسد الذرائع، ودليلاً على أن المحق يكون على حق ما لم يؤدِّ موقفه إلى ضرر في الدين"[٥].

هكذا سن الله لعباده أصولاً وآداباً للتعامل مع المخالف، ولم ينكر عليه حق التعامل بالأسلوب الأمثل في محاورته، أو دعوته، أو مناظرته وجداله.

ولذلك أرى انه لا يمكن الحديث اليوم عن حوار مثمر وفعَّال مع الآخر بمعناه الإسلامي في ظل غياب الالتزام بآداب الدعوة الوسطية الإسلامية التي أسسها القرآن الكريم على قاعدة منهج الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى [٦].

---

(١) التفسير الوسيط: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط١ - ١٤٢٢ هـ.١٣١٨/٣.

(٢) سورة طه: الآية ٤٣ - ٤٤.

(٣) سورة فصلت: الآية ٣٤ ـ٣٥.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى: (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ٢٧٧/ ١٠.

(٦) ينظر: تفسير السلمي وهو حقائق التفسير: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي المتوفى سنة: (٤١٢هـ)، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت، الطبعة: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. ١ /٣٧٨. وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود

لقد بلغ الإسلام درب العدالة والموضوعية والإنصاف الحد الذي جعله يقبل بمحاورة الآخر الذي ينكر الإسلام ويجحده ويكفر بمقوّماته.

وفي هذا السياق يمكن القول: إن اعتراف الإسلام غير المسبوق وغير الملحوق بالآخر لم يكن مجرد اعتراف نظري كبعض الوصايا المثالية الفلسفية التي تضمنتها كتب الفلاسفة والحكماء قبل الإسلام، ولم تعرف طريقها إلى التطبيق العملي في سلوكيات وممارسات مجتمعات وحضارات الذين حُمِّلوها فلم يحملوها، واستُحْفِظُوا عليها فلم يحفظوها، وإنما تحول هذا الاعتراف النظري إلى تفعيل واقعي ضُبطت شروطه وحُدّدت آدابه في القرآن الكريم، واعتمدها رسولنا الكريم في سلوكه العملي مع المخالفين، وجسدتها صفحات تاريخنا الحضاري[1].

الألوسي البغدادي، سنة الولادة / سنة الوفاة ١٢٧٠هـ، تحقيق: الناشر دار إحياء التراث العربي. ١٤/ ٢٥٤.

(١) ينظر: اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها: جيبون ادورد، ترجمة: محمود سليم، مراجعة: محمد علي ادورة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٧م. ١/ ٢٧٦.

المبحث الثالث

الأسس الإسلامية للعلاقة مع الآخر

الدين الاسلامي دين أكرم الانسان كل الانسان، ولم يفرق بالتعامل بين انسان وآخر، وبهذا يتبين لنا في هذا المبحث الآتي.

أ- الكرامة الإنسانية: إذا كان احترام الآخر لوناً وعرقاً وجنساً ولغةً وثقافةً يشكل قاعدة من قواعد السلوك الديني في الإسلام، فإن احترامه كما هو عقيدةٌ وإيمانٌ، هو احترام لمبدأ حرية الاختيار التي هي منحة إلهية، فضّل الله بها الإنسان الذي خلقه من طين على الملائكة الذين خلقهم من نور، إذ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البَقَرَة من الآية ٣٠ الى الآية ٣١] .

فهذا تكريم عظيم من الله تعالى لآدم، امتن به سبحانه على ذريته، حيث فضله على الملائكة بالمعرفة والعقل، فكان العقل محل الشرف ومناط التكليف[١].

فالإنسان هو المخلوق المكرّم الحرّ المسؤول، المختار المؤهل لحمل وحماية الأمانة التي عجزت عن حملها السماوات والأرض والجبال، فهو سيد الكون خلقه الله في أحسن صورة، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾[٢]، ونفخ فيه من روحه، وسخر له ما في الكون؛ لينهض بالأمانة والمسؤولية التي أناطها الله به، ويقوم بأعباء الاستخلاف الإنساني في عمارة الأرض، وفقاً للمنهج القرآني، وبذلك استحق الإنسان مركز السيادة في الأرض قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [٣]. [٤]

(١) ينظر: البحر المحيط: ج٤/ ص٢٥٢. ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: د عثمان جمعة ضميرية، تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م. ص١٨٦. ولباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م. ٢١٤/٢.

(٢) سورة التين: الآية ٤.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٢ ٣٣.

(٤) ينظر: بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار الفكر - بيروت، تحقيق: د. محمود

إن غرض الشرائع السماوية جميعاً هو حفظ الإنسان ومساعدته على التوصل إلى حلول لجميع المشاكل والارتقاء في هذا الكون، ابتداءً من التوجه لعمران الأرض، مروراً بتسخير الطبيعة، وانتهاءً ببلوغه ذروة الغايات، أي: التأهيل لخلافة الله في الأرض حيث يكون سيداً فعلياً للكون الذي يعيش في محيطه[١].

مما تقدم يتضح: أن المفهوم الإسلامي للكرامة الإنسانية، يتسم بخاصتي الشمولية والتعميم، بحيث لا يستثنى عنصر دون آخر، ولا يختص جنس دون جنس، وبذلك يتساوى الإنسان في الحقوق مع أي إنسان آخر بقطع النظر عن اختلافه في اللون، أو الجنس، أو العقيدة أو الانتماء أو الثقافة.

وان الكرامة الإنسانية المكفولة بحق الحرية الفكرية والحرية الدينية؛ لا يمكن أن تسمو وترتقي مجتمعياً وعالمياً بين بني الجنس البشري من دون اعتماد لغة الحوار، وإشاعة قيم العدالة والمساواة والحقوق؛ لضمان استمرارية الحفاظ على مستوى التكريم الإنساني بنفس القيمة المعيارية التي أقرها القرآن الكريم قبل تقريرها من قبل المواثيق الدولية للإعلان العالمي لحقوق الإنسان بعشرات القرون.

إن احترام وتكريم الإسلام للإنسان القائم على مراعاة تعدديات المجتمع، وتنوعه الفكري والثقافي والديني والسياسي، هو الذي يؤدي إلى نضوج خيار التمازج والتداخل والتواصل والحوار المتبادل بين مجموع انتماءات المجتمع والأمة.

ب وحدة العنصر البشري: إن الإسلام وخلافاً للديانات السماوية التي سبقته، جعل العنصر البشري واحداً، فالناس في ظل النظام الإسلامي وحدة متماسكة عبر العالم، مهما اختلفت ألوانهم، وأجناسهم، وأعراقهم، أصلهم واحد فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم وآدم من تراب)[٢].

ولا شك أن هذه الأوصاف كلما تأكدت وقويت وثبتت كان المسلم مؤثراً لإخوته، ومقدماً لهم، ومحباً لهم غاية الحب، ومقدماً لمصالحهم، وإذا كانوا مجتمعةً كلمتُهم، ومتآلفين على كلمة التقوى؛ نتج من ذلك تعاونهم على البر والتقوى، وتعاونهم على تنفيذ كلمة الله، وعلى إظهار شعائر دينه[٣].

مطرجي. ٣/ ٦٣.

(١) ينظر: في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي المتوفى سنة: (١٣٥٩هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. ص٨٩، وأوضح التفاسير: محمد عبد اللطيف بن الخطيب المتوفى سنة: (١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير١٩٦٤م. ٢٠٥.

(٢) الجامع الكبير سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى المتوفى: (٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م. ٦/ ٢٢٩. وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين المتوفى سنة: (١٤٣٠هـ). ٣/ ٧٠.

يلتقون على أرضية مساواة النفس الواحدة، تذوب فيها فوارق الحدود الجغرافية، وصراع القوميات والأجناس والنعرات، وتتوحد قيمتهم على كلمة التقوى التي جعلها القرآن الكريم، ميزان التفاضل بين الناس «اذ الهدف المتوخى من الأمر بالتقوى والحثّ عليها هو إصلاح الإنسان وتوجيه المسلم إلى كل ما فيه الخير»[١] وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[٢].

لقد أكد القرآن الكريم على منع أن يكون التفاضل بين الشعوب على أساس الانتماء لتلك القوميات والجنسيات والأوطان، وجعل ميزان التفاضل والتمايز بين العباد مقصورا ومحصورا على ميزان التقوى، والأحسن عملا بغض النظر عن الجنس أو العرق، أو اللون، أو اللغة، أو الموطن، للتقارب الإنساني في إطار وحدة الأصل[٣]، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحُجرَات الآية ١٣].

والتعارف غايته التقارب لا التباعد، الحوار لا التنافر، الاختيار لا الإكراه، التعاون على البر والتقوى، لا على الصراع والتصادم، فهذا الخلق، والجعل، والتعارف كلها تكوينية، قائمة بحقيقتها على التقوى والتقرب من الله سبحانه. إذاً فأساس الاجتماع الإنساني يقوم على الطاعة لله، والارتباط الوجودي، والإرادي والنفسي به سبحانه وتعالى.

فاندرج فيه النهيُ عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني، وأصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذَفَ منه إحدى التاءين تخفيفاً، وإنما أَخَّر النهْي عن الأمر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعةً إلى إيجاب ما هو مقصود بالذات فإن المقصود من إيجاب تركِ التعاونِ على الإثم والعدوان إنما هو تحصيلُ التعاون على البر والتقوى[٤].

ج- الحرية والعدالة: إذا توافرت الحرية والعدالة توافرت عناصر الاجتماع البشري على قاعدة التعارف الذي يحافظ على الاستقرار، ويعمق أسباب التواصل والتعاون، فلا تعارف ولا حوار دون حرية وعدالة، وهذه القيم والمبادئ هي التي تخلق عند الإنسان القابلية والاستعداد للاعتراف بوجود أوجه التنوع المختلفة، بين الأفراد، والجماعات، والشعوب والأمم.

---

(١) التفسير الحديث مرتب حسب ترتيب النزول: دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ. ١/ ٣٤٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) ينظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: علي بن نايف الشحود، ١٠/ ٤٢.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى سنة: (٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت. ٣/ ٥.

ولنا في التجربة النبوية خير مثال ونموذج على ذلك، إذ إن المواطنة التي شكّلها رسولنا الكريم في مجتمع المدينة اعتمدت بالأساس مبدأ الحرية والعدالة ولم تلغ التعدديات والتنوعات، وإنما صاغت دستوراً وقانوناً يوضح نظام الحقوق والواجبات واحترام الخصوصيات، ويحدد وظائف كل شريحة وفئة، ويؤكد على نظام التضامن والعيش المشترك.

فبلور بذلك إستراتيجية تقوم على قاعدة مؤسسة الحريات في إطار القوة الوحدوية، للاستفادة من كل الإمكانات والقدرات والطاقات بعيداً عن أجواء الاضطهاد ومصادرة الحقوق والحريات، فرسولنا الكريم r كان يعلم أن المجتمع الاستعبادية والمغلق؛ لا يمكن أن تنمو في محيطه قيم الحرية والعدالة والتسامح والانفتاح والتواصل[١].

فباحترام مبدأي الحرية والعدالة تعاد صياغة علاقة الإنسان بالمفاهيم والتصورات، إذ تتحول من علاقة جامدة سكونيه منغلقة إلى علاقة تفاعلية، تواصلية تنسجم والمثل العليا للوجدان الإنساني. فالإنسان محتاج إلى غيره ليقيم صرح العمران والحضارة والتمدن، فهو يستلزم قدراً من الحرية الواعية والمسؤولة والمنظمة، وإن خراب الأمم ودروس الحضارات وانحسار الثقافات يرجع إلى تدهور الفكر الحر، وإلى شيوع التغلب والاستبداد وضياع الحرية[٢].

وبذلك يكون المسلم مطالباً بالالتزام بمنهج الوسطية والاعتدال في الأخلاق والسلوك، والعمل على التوفيق والموازنة بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة، بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية، وحتى في أحرج حالات الخصومة والبغضاء والشنآن، يؤمر المسلم بالحفاظ على أسباب الود في النفوس، وسماحة الخلق، واستمرارية عدالة المعاملة وحسن السلوك، يقول المولى عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٣]. أئمةُ المسلمين وأهلُ العلمِ والإيمانِ فيهم العدلُ والعلمُ والرحمةُ، يرحمون الخَلْقَ ويريدون لهم الخَيْرَ والهدى والعلمَ، ولا يقصدون الشَّرَّ لهم ابتداءً، بل إذا عاقبوهم، وبينوا خطأهم وجهلهم وظُلمِهم كان قصدُهم بذلك بيانَ الحقِّ، ورحمةَ الخلقِ، والأمرَ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكرِ، وأن تكون كلمةُ اللهِ هي العليا، وأن يكون الدينُ كلُّه لله تعالى[٤].

(١) مقدمة ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، (٧٣٢- ٨٠٨هـ) حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دمشق.١٣١ الفصل ٢٥.

(٢) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: ابن عاشور، ط تونس ١٩٦٤م.١٢٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ٨.

(٤) ينظر: تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ المتوفى سنة: (١٢٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، دار العصمة، ط٢،

إن هذه المبادئ والقواعد التي أسس لها القرآن الكريم، وجعلها الإسلام أصولاً لمعاملة المخالفين، هي أرقى وأسمى وأعدل القواعد التي تتفق مع إنسانية الإنسان، وتهيئ الأرضية الملائمة والمناخ السليم للعيش المشترك بين جميع شعوب العالم، على اختلاف ألوانهم، ومشاربهم، وأعراقهم واتجاهاتهم.

١٤١٠ هـ/١٩٩٠م. ٦.

المبحث الرابع

الضوابط المنهجية للعلاقة مع الآخر

دعا الإسلام إلى نبذ الخلاف بين الناس، وأمرهم بالتواصي بالحق والصبر والمعروف؛ دفعاً لأسباب الصراع والنزاع والغلو؛ وتأليفاً للقلوب وتلطفاً في النظر الموقوف على الحق الذي لا يُختلف فيه.

والمقصود بالتواصي بالحق والصبر عند الاختلاف هو تبادل الحوار، وتحري الحق من خلال جهد مشترك بين المتواصين، مع اعتماد الصبر في حدود ما تفرضه المعرفة وآداب التخاطب، لذلك أثنى الله تعالى على نبيه الكريم ﷺ، الذي استمد توجيهه المنهجي الراقي من القرآن الكريم، ووصفه باللين في خطاب قومه يقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1]،

النص في توجيه من الله تعالى لنبيه ﷺ بالرفق واللين في جميع الأمور، ثم كان مأمورا بأن يدعو إلى الله بالوجه الأحسن: وجادلهم بالتي هي أحسن وذلك نصٌّ أبان عن اعتماده ﷺ أسلوب الدعوة بالحكمة، والموعظة بالسلوك العلمي التطبيقي الذي أمر به[2]، يقول تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3].

«فان العفو عمن ظلم هو كمال الحلم والشجاعة، وإعطاء من حرم كمال العفة والجود، ووصل من قطع كمال الفضل والإحسان»[4].

ومن هذا المنطلق ارتأينا وجوب تقديم العناصر الضابطة لأجواء الحوار الملائم لربط العلاقات الهادفة والمثمرة، والوصول بها إلى مستوى القناعات المختلفة والمنفتحة على بعضها بعضاً التي تعمق إيمان الناس، وترسخ المفاهيم القرآنية الناظمة لمبادئ الحرية والعدالة، ومسؤولية الاستخلاف في نفوسهم سلوكاً، ومنهجاً، وعملاً.

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ١٥٩.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ج٣٢/ ٣٢٣. وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المتوفى سنة: (٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١- ١٤١٦ هـ. ٣/ ٣٦٤.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٤) روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، المتوفى سنة: (١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت. ٩/ ٩٥. وينظر: تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي المتوفى سنة: (١٣٧١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م. ٩/ ١٤٧.

أولاً: العناصر الذاتية

أ- المؤهلات المعرفية لأطراف الحوار: ويقصد بها جملة المعارف والعلوم المحصَّلة من قبل الأطراف المتحاورة، والتي ينبغي أن تكون ضابطة لماهية الأفكار، والمعارف الخاصة بموضوع ومحل الحوار.

ومعلوم أنه إذا كان من الحق ألَّا يمنع صاحب الحق عن حقه، فمن الحق ألَّا يعطى هذا الحق لمن لا يستحقه، كما أن من الحكمة والعقل والأدب في الرجل ألَّا يعترض على ما ليس له كُفْؤاً، ولا يدخل فيما ليس هو كفؤاً، لأن الجاهل بالشيء ليس كفؤاً للعالم به، وقد قرر هذه الحقيقة سيدنا إبراهيم عليه السلام في مقام محاجّته لأبيه حين قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [1].

«فإني قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك»[2]، «أي: من العلم بالله والمعرفة به، والعلم بالتوحيد وبالدنيا ومن خلقها، والعلم بالحقائق والتمييز بين الحق والباطل ما لم يأتك منه شيء لا قليل ولا كثير»[3].

فلا بد إذن من التأهيل العلمي المتخصص لمن يريد الدخول في دائرة الحوار، وذلك بمراعاة امتلاك كل أطراف الحوار ثقافة دينية، فكرية وسياسية عامة، منفتحة على كل قضايا وشؤون الإنسان والحياة، وأن يتزود كل طرف من المحاورين بالمعارف الدينية والفكرية والتاريخية متعددة المشارب والاتجاهات، كي يكون على صلة بواقع الحوار وبطبيعته واتجاهاته وسياقاته المختلفة، ويتمكن من مواصلة الحوار، بتقديم الحجج الدامغة، والأدلة اليقينية أمام الأطراف المخالفة.

إضافة إلى ضرورة خبرته بعلم النفس ومراعاة الحس والوجدان ونحو ذلك، كما لابد له من معرفة مداخل الباطل إلى القلوب، ومعرفة طريق التوفيق بين العقل والحق، ووسائل استمالة النفوس من جانب الشر إلى جانب الخير، وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد عبده: «لو قضى الزمان بأن يكون من وسائل التمكن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإشغال الناس بالحق عن الباطل، وبالطيِّب عن الخبيث، أن يضرب الإنسان في الأرض ويمسحها في الطول والعرض، وأن يتعلم اللغات الأجنبية، ليقف على ما فيها مما ينفعه فيستعمله، أو ما يخشى ضرره على قومه فيدفعه، لوجب على أهل العلم أن يأخذوا من ذلك ما يستطيعون»[4].

---

(١) سورة مريم: الآية ٤٣.

(٢) الأساس في التفسير: سعيد حوّى المتوفى سنة:(١٤٠٩ هـ)، دار السلام - القاهرة، ط١٤٢٤،٦هـ.٦/ ٣٢٧٦. وينظر: تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي المتوفى سنة: (١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م. ١٦/ ٥٦.

(٣) تفسير القرآن الكريم: محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني المتوفى سنة: (١٤١٩هـ). ٢٤/ ٣.

(٤) ينظر: أدب الاختلاف في الإسلام: أبحاث الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، بالتعاون مع

أن المسؤولية الإيمانية والفكرية، تقتضي منا معالجة مشكلاتنا الحضارية وأزماتنا الفكرية والثقافية، والسياسية والمذهبية الداخلية لأهل المذهب الواحد بالحوار، وقبول دعوة الآخر في إطارها الشرعي، للخروج من الواقع المأزوم بالنزاعات والصراعات والانقسامات، إلى واقع إيجابي مثمر المنطلقات والأهداف ثم بعدها نتمكن من التحاور مع الديانات الاخرى. وليس يلزم كما قال ابن رشد: «من أنه، إن غوى غاوٍ بالنظر في كتب القدماء، وزلَّ زالٌّ، إما من قبل نقص فطرته، وإما من قبل سوء ترتيب نظره فيها، أو من قبل غلبة شهواته عليه، أو أنه لم يجد معلماً يرشده إلى فهم ما فيها... أن نمنعها عن الذي هو أهل للنظر فيها»[1].

وقد نرى في واقعنا الكثير ممن يمارسون هذا الدور العكسي، ويحركون بعض المفاهيم الفكرية المغلوطة، والتي تعبر عن ضعف عام في بنيتهم المعرفية، وجهل واضح في فهم واستيعاب مضامين الفكرة الأساسية للحوار.

ب- مؤهلات أطراف الحوار النفسية والسلوكية: إن تهيئة الأجواء الملائمة لتفعيل مشاريع الحوار عملياً على أرض الواقع، ليس بالأمر السهل كما يتوقع البعض، وذلك لما يتطلبه الدخول في التجربة من متطلبات منهجية، وضوابط سلوكية وقيم أخلاقية، تتحكم بشكل مباشر في المؤثرات الداخلية النفسية والاجتماعية، لمن يُرشح للقيام بهذا الدور. فنحن مدعوون من قبل ديننا الإسلامي إلى إيجاد وتهيئة أرضية نفسية واجتماعية، لإفساح المجال لحرية التعبير، وتفهّم وجهات نظر المخالفين، ونحن بحاجة إلى استقراء الذات قبل الحديث عن إطار للحوار مع الآخر.

وذلك لأن إشاعة مفاهيم الحرية وقيم العدالة والوسطية كما أقرها المنهج القرآني الكريم، لا تتحقق بتنظير الكتّاب والمؤلفين، ولا تُفعّل بتوصيات الندوات والمؤتمرات، ولا تُستثمر بحوارات المفكرين والحقوقيين والأدباء، وإنما تحتاج للانطلاق بوعي منفتح على الحياة كلها والإنسان، إلى إعادة الوقوف مع الذات ومسائلتها عن مدى سعة قدرتها وطاقاتها لاستيعاب وجود الآخرين، لأن المشكلة ليست مشكلة العربي والمسلم في التسامح مع غيره، بقدر ما هي مشكلته أولاً وقبل كل شيء في التسامح مع نفسه، وأبناء جلدته، وقومه، ودينه.

إن بعض الخلافات يكون منشؤها الأساسي، هو ما يحتويه ويتضمنه الظاهر اللفظي، من السخرية والسب، والشتم والاستهزاء، لذلك فالعفة اللفظية وإن كانت من الأمور الظاهرية، فإن القرآن الكريم قد ربطها بأخلاقيات وضوابط محددة، لما لدلالتها النفسية على المحتوى الداخلي للإنسان.

جامعة الزيتونة ٢٠٠١م. ١١٨.

(١) فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكماء من الاتصال: ابن رشد، تحقيق ألبير نصري نادر، بيروت دار الشروق، ط ٣، ١٩٧٣. ٣١ ٣٥.

ومن المعلوم أن من دعا غيره إلى الله تعالى فإنه يقدم الرفق على العنف واللين على الغلظ والحكمة على الشدة ولا يخوض في التعنيف والتغليظ وبهذا أمر الله نبيه ﷺ، فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[1].[2].

إن هذه الدعوة المنفتحة والمنطلقة نحو أهدافها العالية والطموحة، هي التزامات واعية وسلوك هادف يدعو إلى نبذ العنف في الحوار وبهذا وجه النبي ﷺ أصحابه ومن بعدهم أفراد الأمة المسلمة إلى الحوار بالرفق ونبذ العنف فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ، فقالوا: السامُ عليك. فقلتُ: بل عليكم السامُ واللعنةُ. فقال: "يا عائشة، ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كلهِ". قلتُ: أولم تسمع ما قالوا؛ قال: «قلتُ: وعليكم»[3].

وقد ذم الغزالي العنف ولو لطلب الحق قائلاً: «إن التعصب من آفات علماء السوء، فإنهم يبالغون في التعصب للحق، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى قرضهم في التمسك بما نسبوا إليه، ولو جاؤوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة، لا في معرض التعصب والتحقير لنجحوا فيه، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع، ولا يستميل الأتباع مثلُ التعصب واللعن والتهم للخصوم، اتخذوا التعصب عاداتهم وآلهتهم»[4].

لذلك ينبغي على المحاور اللبيب طالب الحق، أن ينأى بنفسه عن أسلوب الطعن والتجريح والسخرية، وألوان الاحتقار والإثارة والاستفزاز، لأن كسب القلوب مقدّم على كسب المواقف فقد يفحم المحاور ذو السلوك الانفعالي العصبي خصمه بالحجة والدليل الدامغ لكنه لا يقنعه بأسلوبه الفظ.

فأسلوب التحدي بالإيذاء النفسي لا يولد إلا المزيد من الغيظ والحقد والحنق ويمنع التسليم والإذعان ولو وجدت القناعة العقلية.

ثانياً: العناصر الموضوعية:

أ- تحرير مضامين الحوار وموضوعاته: إن تحرير محل النزاع وتشخيص أبعاده، هو أهم شرط ينبغي اعتماده قبل الدخول في أي شكل من أشكال الحوار، إذ من المفروض أن تكون جميع الأطراف المتحاورة على علم بماهية الموضوع المدار للحوار، مع وجوب تحديد سياق وإطار محور الفكرة ومحدداتها العامة

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٣/ ٣٩.
(٣) صحيح البخاري: ج٩/ ص١٦ رقم ٦٩٢٧.
(٤) إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفى سنة: (٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت.١ / ٤٠.

التي يريد إثباتها أو نفيها؛ لأن الجهل بطبيعته يحوِّل مسار الحوار إلى أجواء مشحونة تعمها انفعالات نفسية تُترَجم بأساليب السب والشتم والقدح والإهانة، مما يعقِّد مناخ الحوار ويغيِّر وجهته الحقيقية في تحقيق الغاية المرجوة منه إلى مجرد ترف فكري ومشادات كلامية. إذ لا معنى للحوار حول موضوع لا تعلمه الأطراف المتحاورة أو لا يعلم تخصصه أحدهم.

وقد أوضح لنا القرآن الكريم بعض النماذج البشرية التي وقفت ضد الرسول والرسالة من غير أن يكون لها أدنى معرفة أو إحاطة فيما تطرح وتدعي، كما في قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾ [1].

وهذه الآية تبين بجلاء واضح لا لبس فيه المنهج القرآني في التأصيل لعناصر شروط الحوار، وتؤاخذ كل من يدخل دائرته من دون التمكن من آليات المعرفة بسياقه والإحاطة بموضوعه[2].

إن تحديد موضوع الحوار يتطلب جهدًا فكرياً راشداً، والتزامًا استشرافيا واعياً، يضبط المسار الطبيعي للفكرة محل الحوار والمدارسة.

لذا يتحمل المثقف وبالتحديد في وقتنا المعاصر مع اتساع شبكة الاتصال والتواصل مسؤولية وعبء مواجهة الحياة الاجتماعية التي تستبطن الآراء المختلفة، وتزخر بالأفكار والرؤى المتنوعة.

بيد أن هذه المواجهة إذا لم يلتزم فيها المثقف منا اعتماد أصول ضوابط وشروط آداب الحوار، فقد يتحول توضيح الأفكار وعرضها على المخالف إن محلياً أو عالمياً إلى إثارة أجواء مشحونة بالتوتر الفكري والنفسي والكلامي.

وتنأى الجهود المبذولة لتعزيز القيم والمبادئ الدينية المشرقة عن بعدها ألشهودي الحضاري لتتحول إلى مجرد مهاترات إقصائية والغائية تلبي رغبة الاستعلاء الذاتي من موقع الغلبة والتعصب للرأي.

وللأسف فقد أخذ الحوار في مجتمعاتنا العربية الإسلامية، مفهوماً سلبياً، خاصة عندما امتهنه البعض، بهدف الدفاع، أو الصد، أو الهجوم، أو الشروع في تحديد مجالات الصراع الفكري أو المذهبي من خلال المناظرات غير المنضبطة بأصولها، فتتحول عوض الوصول إلى معرفة الحق، إلى شكل من أشكال الترف الذهني وتنمية الشعور بالغرور والاستعلاء الذاتي على الآخر.

ب- تحديد أسلوب الحوار مع الآخر: يبدي الإسلام اهتماماً بالغاً بأسلوب الحوار لضبط العلاقة مع الآخر، أي: اعتماد الطريقة المنهجية لإدارة موائد الحوار، بحيث تحصل النتائج المرجوة في تمتين روابط

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٦.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت. ١ /٣٨٩.

الأخوة ووشائج المحبة بين بني البشر.

وقد قدّم الماوردي معالجة أخلاقية واسعة لتحديد أسلوب الحوار، فربط فضيلة التسامح في الحوار بالمروءة «التي هي حلية النفوس وزينة الهمم، فالمروءة مراعاة الأحوال إلى أن تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق»[١].

ويقسم الماوردي هذا التسامح إلى قسمين: هي

أ- العفو عن الهفوات: إذ ينبغي في مجلس الحوار التأكيد على الاحترام المتبادل بين الأطراف، وإعطاء كل ذي حق حقه بالمخاطبة بالعبارات اللائقة والألقاب المستحقة والأساليب المهذبة والعفو عن الهفوات التي قد تقع من الآخرين.

وفي هذا السياق يقول الماوردي: «فأما العفو عن الهفوات فلأنه لا مبرّأ من سهو وزلل، ولا سليمَ من نقص أو خلل، ومن رام سليماً من هفوة فقد تعدى على الدهر بشططه، وخادع نفسه بغلطه، وكان من وجود بغيته بعيداً، وصار باقتراحه فرداً وحيداً»[٢].

إن أسلوب العفو عن الهفوات، يقود حسب ما يرى الماوردي إلى قبول الحق، والبعد عن الهوى، وعدم الانتصار للنفس.

وما قيل من ضرورة التقيد بمبدأ العفو عن الأخطاء، لا ينافي النصح وتصحيح الأخطاء بالأساليب الرفيعة والطرق الراقية التي تتحكم في ضبط خط الحوار في الاتجاه المنشود عوض تحويله إلى مناقشات الأخطاء والتصرفات وهفوات السير الذاتية للأطراف المحاورة.

ب- المسامحة في الحقوق: وهو الأسلوب الثاني من أساليب الحوار عند الماوردي إذ يقول: «وأما المسامحة في الحقوق، فلأن الاستيفاءَ موحش، والاستقصاءَ منفّر، ومن أراد كل حقه من النفوس المستصعبة بشحٍّ أو طمع لم يصل إليه إلا بالمنافرة والمشاقّة، ولم يقدر عليه إلا بالمخاشنة والمشاحنة، ولما استقر في الطباع من مقت من شاقّها ونافرها، وبغض من شاحنها ونازعها، كما استقر حب من يأسرها وسامحها كان أليق الأمر استلطاف النفوس بالمياسرة والمسامحة وتألُّفها بالمقاربة والمساهلة»[٣].

ومما يتعلق بهذه الخصلة الأدبية المياسرة أن يتوجه النظر وينصرف الفكر إلى القضية المطروحة، ليتم تناولها بالبحث والتحليل والنقد والإثبات بعيداً عن منافرة صاحبها أو قائلها، فالمياسرة تدفع عن صاحبها

---

(١) أدب الدنيا والدين: الماوردي، تحقيق مصطفى السقا، مكة - دار الباز للنشر، ط/٢، ١٩٧٨م. ٢٦٥.

(٢) أدب الدين والدنيا: ٢٦٥.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي المتوفى سنة: (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.ص٤٥٣. وادب الدين والدنيا: ٣٢٥.

حب الظهور والتميز والتعالي على النظراء وتعم عنده السلوك العقلاني والانفتاح الروحي والتجدد المفاهيمي بحيث يمكن بالتسامح تهيئة أجواء التعاون وحسن التفاهم والتحليل المتزن بعيداً عن المشاحنات الحماسية السلبية التي تثير الفوضى واللامبالاة والاضطراب النفسي مما يعيق الوصول إلى قناعات فكرية مشتركة.

وهذه المبادئ التي أمر بها الإسلام وتبناها المسلمون في حواراتهم مع غيرهم مهما كان ألوانهم أو توجهاتهم قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1] وخاصة في منهاج المناظرة.

فهذه حقيقة الإسلام بوصفه صاحب أطروحة الكمال الإنساني[2]، أنه هو المؤهل الوحيد وبشكل كبير لإدارة الحوار والمبادرة إليه، مما جعل العلماء يهتمون بالتأصيل لشروط وأساليب ومناهج الحوار سعياً لإشراك الآخرين بسعادة السلوك والرقي نحو الكمال[3].

ولنقف مع صاحب كتاب الإعلام بمناقب الإسلام إذ يؤكد على أن الاختلاف يؤدي إلى الجدل، والجدل يقود إلى التعادي، وهذا التعادي هو سُلَّم العصبية، والعصبية هي الداء العضال، وبحسب قوله: هناك أربعة أسباب تؤدي إلى الاختلافات في كل الأديان، وإن كانت موافقة للحق وهي:

أولاً: «أن يُعجَب المتدين بعقله، ويغترَّ بذكائه، فيركب نوعاً من المقاييس الفاسدة.. فينتج نتيجة كاذبة، وهو يخالها صادقة، فيعتقدها ديناً، ويدعو الناس إليها جهلاً، فتعم البلوى وتغوى بمكانه الخليقة».

ثانياً: «أن يُولَع الإنسان من نفسه بالإغراب والتعمق، ويستهتر.. وقلما يبالي تنكُّب الجادة، شغفاً بأن يسلك طريقة يصير فيها قدوة..».

ثالثاً: «أن يكون قصد الإنسان عناد جميع ما يسمع من الأقوال الصادقة والمذاهب الحقيقية، وأن يتبع أبداً الآراء المسترذلة التي تنخدع بها طبقات العامة، إذ ليس عند الدهماء أروج من المذهب المستضعف والرأي المدخول».

رابعاً: «أن يعتمد تزييف الدين، وتوهين أساسه، إما لتعصب ملكي أو لتعصب نسبي، فهو يجتهد في إلصاق المعيب به بأخبار مزورة، وينسبها إلى أئمة أصحاب الحديث، أو أحد رؤساء العامة، فيوهم الضعف من أهله أنها أساس الملة، احتيالاً منه للنكاية فيما أبغضه، وأحب الانتقام منه»[4]..

---

(١) سورة النحل: من الآية ١٢٥

(٢) ان الكمال الانساني هو: أسمي وابعد بكثير من كمال المتخيلة، والكمال الذي يحققه الموجود الانساني بفضل هذا المتخيلة. الفارابي وتأسيس الفلسفة الاسلامية: ترجمة: د. داود الحاج حسن، دار الفارابي بيروت لبنان، ط١ ٢٠٠٩م. ٢٢١.

(٣) ينظر: الفارابي وتأسيس الفلسفة الاسلامية: ص٢٢١ والابعاد السياسية لمفهوم الامن في الإسلام: مصطفى محمود منجود، المعهد العالمي للفكر الاسلامي دار القاهرة، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م. ٦٥.

(٤) الإعلام بمناقب الإسلام: أبو الحسن العامري، تحقيق أحمد غراب، الرياض، دار الأصالة للثقافة ط/١ ١٩٨٨. ١٨٦.

ويؤكد أن هذه الطرق الأربعة ليست حكراً على الإسلام، بل هي شاملة لكل الأديان، إذ يقول: «فهذه هي الطرق للآفات المتواترة على الأديان والملل، وليست هي المقصورة على الدين الإسلامي، بل هي مشتملة على جميعها»[1].

(١) الإعلام بمناقب الإسلام: العامري. ١٩٣.

المبحث الخامس

الجانب العملي لضوابط العلاقة مع الآخر في المجتمع الإسلامي

كفل الإسلام لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي حقوقاً تمتعوا بها طوال التاريخ الإسلامي، وهذه الحقوق شملت صيانة وحماية أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، كما ضمنت لهم حرية العقيدة وممارسة الشعائر والشرائع في مجال الأحوال الشخصية كالزواج، الطلاق، النفقة، الميراث. ما لم يطعنوا في دين الاسلام. وقد أباح الإسلام لهم حق مصاهرة المسلمين بالتزوج من نسائهم وأكل ذبيحتهم، يقول تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (١).

وهي إباحة تؤسس لشرعنة علاقة الاندماج الكلي في المجتمع الإسلامي بروابطه الاجتماعية الواسعة، وأحل تزويج العفائف من حرائر نساء اليهود والنصارى نكاحهن حلال للمسلمين (٢).

وعلى قاعدة المنهج القرآني في رسم حدود العلاقة مع غير المسلمين يقول سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [المُمْتَحنَة الآية ٨] فقد وضع فقهاء الشريعة الإسلامية قاعدتهم الفقهية في التعامل مع الآخر وفق بند «لهم مالنا، وعليهم ما علينا»(٣).

وذلك لأن أصل العلاقة مع الآخر استراتيجياً في الإسلام، هي علاقة الدعوة إلى الإسلام، والعيش المشترك مع الشعوب، التي أمر المولى عز وجل بالتعارف معها في إطار احترام مبدأ الكرامة الإنسانية الذي يقوم على نبذ الممارسات التعسفية ضد حقوق الإنسان، ومن أشدها ظلماً قتاله في الدين وإخراجه من بيته.

وباستثناء هذا الخرق المعرقل لتهيئة المناخ اللازم للحياة المشتركة بين جميع مواطني الأمة على اختلاف انتماءاتهم العرقية والدينية واللغوية والمذهبية، فإن الإسلام يجعل من واجب المسلمين ليس فقط حمايتهم وصيانة حقوقهم؛ بل ربط علاقات ودية معهم عمادها العدل والبر وأساسها القسط، ومن هنا جاء التركيز

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي المتوفى سنة: (١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١ - ١٤٢٣ هـ. ١/ ٤٥٥.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي المتوفى سنة: (٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. ٧/ ١٠٠.

القرآني على محبة المقسطين تحفيزاً ودعماً وتنويهاً.

وعلى هذا الأساس تعامل فقهاء الإسلام مع أهل الذمة، وأصّلوا لحدود الالتزام بالمنهج القرآني في الدعوة إلى البر والقسط من خلال الأسس التالية:

١- تأمين الحماية من العدوان الخارجي: وذلك بإيجاد الحماية اللازمة لكل من يعيش داخل المجتمع الإسلامي، ومنع أي جهة تتعرض لأذيتهم وفك أسرهم، ودفع الظلم عنهم، ومنع أي جهة من التعرض لهم بأذية أو سوء، وفي هذا الصدد يقول ابن حزم الأندلسي: «إن من كان في الذمّة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمّة الله تعالى وذمّة رسوله ﷺ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمّة»[١].

وقبل أن أسوق بعض الأمثلة من الممارسة العملية لحدود العلاقة مع الآخر أود أن أوضح مفهوم أهل الذمّة الذي يثار حوله الكثير من الجدل على أساس أن البعض يرى في المصطلح تنقيصاً من قدر غير المسلمين.

لقد جرى العرف الإسلامي على تسمية المواطنين من غير المسلمين باسم أهل الذمّة، والذمّة كلمة معناها العهد والضمان والأمان، وسُمّوا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد المسلمين، للعيش في حماية الإسلام، وفي كنف المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين[٢].

٢- تأمين الحماية الداخلية:

أ حماية أبدانهم وأعراضهم: إن منهج الإسلام في المعاملة الإنسانية لا يفرق بين الناس في الدين والعقيدة، لذلك أوجب إقامة العدل بين جميع الناس، ومنع الظلم عامة، وحمى الدماء والأبدان والأموال والأعراض للمسلمين ولغير المسلمين، وأمر بالإنصاف ولو مع العداوة واختلاف الدين[٣]، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المَائِدَة الآية ٨] .

تضافرت الأحاديث النبوية الشريفة، وتواترت سلوكيات الصحابة رضوان الله عليهم، بمنع إلحاق الأذى والظلم بغير المسلمين، ومن ذلك قوله ﷺ: «من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته[٤]، أو أخذ منه

---

(١) أنوار البروق في أنواء الفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي المتوف سنة: (٦٨٤هـ)، عالم الكتب، بدون طبعة وبدون تاريخ، ٣/ ١٤.

(٢) الحجة على أهل المدينة: أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (المتوفى: ١٨٩هـ) ، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني القادري، عالم الكتب - بيروت، ط٣، ١٤٠٣. ١/ ٥٠٥.

(٣) كتاب المفصل: علي بن نايف الشحود، شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه. ٣/ ٣٦.

(٤) (من ظلم معاهدا): بكسر الهاء أي: ذميا، أو مستأمنا (أو انتقصه) أي: نقص حقه. وقال الطيبي أي: عابه لما في الأساس استنقصه وانتقصه عابه. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي

شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة»[١]. «قرر الشرع الإسلامي أن غير المسلم له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، وبالتالي أجاز الإسلام التعامل الكامل مع غير المسلمين، وقرر لهم الحقوق والواجبات نفسها التي وضعها للمسلمين، وكفلها لجميع المواطنين في دار الإسلام».

ونتيجة لذلك عاش غير المسلمين في ظلال الخلافة الإسلامية، وفي أحضان المجتمع الإسلامي طوال الأحقاب والقرون، وكانوا ينعمون بالأمن والأمان، والعدل والإحسان، والحرية الدينية، والمشاركة في شؤون الحياة المالية والعلمية والوظائف كما ينعم المسلمون، وأنه إذا وقع ظلم أو اعتداء في بعض فترات التاريخ فإنه يقع مثله على المسلمين، وقد يكون أشد، كما حصل مع اليهود والمسلمين في الأندلس، والمسلمين والنصارى في فلسطين المحتلة، مع التركيز على المعاملة المتميزة لأهل الكتاب في بلاد المسلمين.

وعرف التسامح الإسلامي في التاريخ بصورة مشرقة لم تعرف البشرية له مثيلاً ولا نظيراً في القديم والحديث، وشهادات المستشرقين والمؤرخين تؤكد ذلك، ويحسن مقارنتها بما فعل الرومان قبل الإسلام مع المخالفين لهم في العقيدة، وما فعله الأسبان في الأندلس، وما ارتكبه الصليبيون في القدس وبلاد الشام، وما يزال يفعله في كثير من بلاد المسلمين اليوم، مما لا مجال للتوسع فيه[٢].

وقوله ﷺ: «من آذى لي ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه، خصمته يوم القيامة»[٣].

ب- الكفالة وحماية الأموال: وقد تكفّلت معاهدة النبي ﷺ مع وفد نصارى نجران، بحفظ وصيانة ممتلكاتهم «ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمّة محمد النبي رسول الله ﷺ على أموالهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير»[٤].

والتاريخ الإسلامي مليء بشهادات تبنّت ضمان الممتلكات والتكفّل برعاية المرضى والعجزة في إطار الضمان الاجتماعي، نقتصر منها على ما جاء في كتاب الخراج: أن خالد بن الوليد كتب في عهد الذمّة لأهل الحيرة بالعراق: «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر

القاري المتوفى سنة: (١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. ٤/ ٤٥٥.

(١) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني المتوفى سنة: (٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. ٤ /٦٥٨. وقال إسناده حسن.

(٢) المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه: ٣/ ٣٦.

(٣) صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني المتوفى: (١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي. الخطيب بإسناد حسن، ٤٧٣/٢.

(٤) الخراج: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري المتوفى سنة: (١٨٢هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد: ٧٨.

وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله»[١].

وهذا شهاب الدين القرافي من فقهاء المالكية، يشرح ما يجب على المسلمين للمعاهدين انطلاقاً من المنهج النبوي قائلاً: «إن عقد الذمّة يوجب لهم حقوقاً علينا لأنهم في جوارنا، وفي خفارتنا وذمّتنا وذمّة الله تعالى، وذمّة رسول الله ﷺ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فقد ضيّع ذمّة الله، وذمّة رسوله وذمّة دين الإسلام»[٢].

ولعل أروع مثال على ذلك موقف ابن تيمية في وجه التتار، حينما أرادوا إطلاق سراح أسرى المسلمين فقط، وإبقاء النصارى في الأسر، فقال: «إننا لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من المسلمين وغيرهم، لأنهم أهل ذمّتنا، ولا ندع أسيراً لا من أهل الذمّة، ولا من أهل الملة»[٣].

وأخيراً .. إن الرسالة الإسلامية رسالة العدالة، تتسم على مستوى النظرية والتطبيق، بإلزام معتنقيها بالتعامل مع أبناء البشرية كافة مهما كان جنسهم أو لونهم أو دينهم أو قوميتهم على أنهم أعضاء في المكون الاجتماعي المطلوب إقراره والحفاظ عليه، وقد زخر القرآن الكريم والسنة المطهرة بأروع الصور النظرية والتطبيقية التي جسدت تلك المفاهيم.

وقد يكون من الموضوعي أن نعترف بأن تاريخنا الإسلامي الذي امتد زهاء خمسة عشر قرناً لم يخلُ في ظل تحديات خارجية من بعض التوترات الدينية، بين الفرقاء الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية.

لكن إذا ما وقفنا عند الحجم الحقيقي لتلك التوترات، مقارنة بأوضاع المراكز الحضارية الأخرى، سنجد أن تلك الحضارات تجاوزت حدود النفي المعنوي للآخر، إلى إلغائه وإبادته وإعلان الحروب الدينية عليه، بل إن وسائل الإقصاء والتدمير شملت حتى المخالف مذهبياً داخل الدين الواحد.

أما في الإسلام: «فإن غير المسلمين قد نعموا بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح لا نجد معادلاً لها في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة، وإن دوام الطوائف المسيحية في وسط إسلامي يدل على أن الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر على يد المتزمتين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح»[٤].

وقياساً على هذه الشهادة نقول: إن الدولة الإسلامية لم يكن لها أن تحقق ما أنتجته من قيم التفاعل الحضاري، لو لم تتوافر لها آليات محددة، قائمة على قاعدة أخلاقية مستمدة من رؤية كونية تعبئ المسلم

(١) المصدر السابق: ١٢٦.

(٢) الفروق: أنوار البروق في أنواء الفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي المتوفى: (٦٨٤هـ)، عالم الكتب، بدون طبعة وبدون تاريخ م س، ٣/ ١٤.

(٣) الرسالة القبرصية مشكلة: لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ ٧٢٨)، تحقيق وتوثيق: الدكتور ماجد محمد عبده. ٤٠.

(٤) مرتكزات التعايش بين الأديان: محمد عمارة مجلة قضايا إسلامية معاصرة، س ٧، عدد ٢٢، شتاء ٢٠٠٣، ١١٣.

فكراً، وتبعثه وتضبط حركته سلوكاً؛ كي يتفاعل إنسانياً مع الآخر، ويساهم على هدي الدين الإسلامي في بناء الصرح الحضاري الإنساني المنفتح الذي يقوم على العدل والوسطية، والمعرفة والتعايش والتعاون.

الخاتمة والتوصيات

إن السياج القوي الذي يحافظ على متانة العلاقة مع الآخر، ويجعلها ثابتاً من ثوابت الواقع المعاش، هو وجود منظومة أخلاقية تسد باب كل النوازع النفسية الشاذة. لذلك حث رسولنا الكريم ﷺ على تطوير مستوى العلاقة الروحية مع الآخر، وإنزالها من أبراج الصوامع والبِيَع والأديرة إلى ساحة الواقع المجتمعي معتمداً في ذلك على خطاب الباري تعالى الموجه للناس في العديد من آيات القرآن، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهو خطاب شامل لكل حيثيات الحركة الإنسانية على امتداد التاريخ والمجتمع، حيث وجدت آداب دينية وغير دينية، وإيمان وفلسفة، وفنون وصناعة، وأسطورة، وعدل وظلم.

ويمكن تحديد بعض المقترحات على النحو الآتي:

١- ضرورة الكشف عن البعد الحضاري للفكر الإسلامي؛ لأن هذا الكشف يجسد المضمون الحضاري للأمة مع هضم معطيات الآخر الحضارية، وتفادي السقوط في النزعة الانبهارية أو النزعة التهوينية؛ لأن التعامل الانبهاري مع الغرب- الآخر، قد أساء إلى الذات العربية الإسلامية بوصفها ذاتاً مبدعة وفعالة.

٢- بلورة إستراتيجية عربية وإسلامية متكاملة؛ للاستفادة من منجزات ثقافة العصر، والعمل على إيجاد مستلزمات الحضور العربي الفعال المنتج في مسيرة هذه المنجزات العالمية.

٣- صياغة خطط واعية لتمتين وحدتنا الاجتماعية والوطنية في مواجهة تحديات الفترة الراهنة.

٤- الانخراط في مشاريع الإصلاح الثقافي والفكري والتواصل بين الذات بإزالة الحواجز النفسية والأحقاد الإيديولوجية التي تحول دون التلاقي والتفاهم والاحترام المتبادل.

٥- إحياء مشروع إصلاحي ثقافي يرتكز على أسس أكثر عدلاً ووسطية ومساواة وتسامحاً واعترافاً بالآخر، واحتراماً لكل أشكال التنوع داخل محيطنا الاجتماعي.

٦- صياغة المفهوم الوسطي في التاريخ العلمي العربي والإسلامي بشكل يعيد قراءة الذات وفق القاعدة الإسلامية العامة «عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به»[1].

٧- ضرورة الاحتفاظ بتوازن الرؤية الإسلامية الوسطية في التعامل مع الآخر، وتطوير مناهجنا بناءً على قاعدة أن جلب المنفعة هو سبيل ضروري لدفع الضرر.

---

(١) جاء في صحيح مسلم قوله ﷺ: (من أحب أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته مَنِيّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتي إلى الناس الذي يُحِبّ أن يُؤتىَ إليه). صحيح مسلم: ج٣/ ص١٤٧٢. وشرح سنن ابي داود: ج٣/ ص٢٨٢. وهذا معنى قول الناس: عامِل الناس كما تُحِبّ أن يُعامِلوك.

٩- ضرورة استيعاب مختلف التجارب التاريخية للعلاقة مع الآخر، واستنطاقها وتحليل مضامينها لتحصيل فهم أعمق لمعانيها واستشراف آفاق مستقبلية أوسع تنظم علاقاتنا مع الإنسانية بأكملها.

١٠- ضرورة الالتزام بمبدأ الوسطية والشهادة على الناس، من موقع احترام المبادئ الإسلامية الثابتة، التي تفسح المجال لخيارات متعددة الآراء، والتحلي بالواقعية لاستشراف المستقبل.

المصادر والمراجع

١. الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد المتوفى: (١٤٢٩هـ)، دار العاصمة، ط١، ١٤١٧ هـ.

٢. الابعاد السياسية لمفهوم الامن في الإسلام: مصطفى محمود منجود، المعهد العالمي للفكر الاسلامي دار القاهرة، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٣ ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت.

٤. أدب الاختلاف في الإسلام: أبحاث الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، بالتعاون مع جامعة الزيتونة ٢٠٠١م.

٥. أدب الدنيا والدين، الماوردي، تحقيق مصطفى السقا، مكة - دار الباز للنشر، ط/٢، ١٩٧٨م.

٦. الأساس في التفسير: سعيد حوّى المتوفى سنة:(١٤٠٩ هـ)، دار السلام - القاهرة، ط١٤٢٤،٦هـ.

٧. الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية: روجيه جارودي.

٨. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، ط تونس ١٩٦٤م.

٩. اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها: جيبون ادورد، ترجمة: محمود سليم، مراجعة: محمد علي ادورة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٧م.

١٠. الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري، تحقيق أحمد غراب، الرياض، دار الأصالة للثقافة ط/١ ١٩٨٨.

١١. الأنا والآخر أو مسألة الغيرية: محمد عابد الجابري، بحث منشور في الشبكة الدولية للمعلومات، (الانترنيت).

١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المطبوع على حاشية شيخ زاده: عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت, بدون تاريخ النشر.

١٣. أوضح التفاسير: محمد عبد اللطيف بن الخطيب المتوفى: (١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها ط٦، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م.

١٤. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار الفكر - بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي.

١٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي المتوفى: (٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٦. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى: (١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

١٧. تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ المتوفى سنة: (١٢٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، دار العصمة، ط٢، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠م.

١٨. تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي الشافعيّ المتوفى: (٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٩. تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ط١، - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٠. التفسير الحديث مرتب حسب ترتيب النزول: دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

٢١. تفسير السلمي وهو حقائق التفسير: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي المتوفى: (٤١٢هـ)، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت، الطبعة: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٢. تفسير القرآن الكريم: محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني المتوفى سنة: (١٤١٩هـ).

٢٣. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي المتوفى سنة: (١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٢٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.

٢٥. تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٨م.

٢٦. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى المتوفى: (١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١ - ١٤٢٣ هـ.

٢٧. ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، موسى إبراهيم الإبراهيم، ط٢، دار عمار، عمان، الأردن،

١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٩٨٠م.

٢٩. الجامع الكبير سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى المتوفى: (٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م.

٣٠. الحجة على أهل المدينة: أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (المتوفى: ١٨٩هـ)، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني القادري، عالم الكتب - بيروت، ط٣، ١٤٠٣.

٣١. الخراج: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري المتوفى: (١٨٢هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد.

٣٢. الرسالة القبرصية مشكلة: لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ ٧٢٨)، تحقيق وتوثيق: الدكتور ماجد محمد عبده.

٣٣. روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، المتوفى: (١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت.

٣٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، سنة الولادة / سنة الوفاة ١٢٧٠هـ، تحقيق: الناشر دار إحياء التراث العربي.

٣٥. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني المتوفى: (٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٣٦. شرح العقيدة الطحاوية: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين المتوفى سنة: (١٤٣٠هـ).

٣٧. شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٣٨. صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني المتوفى: (١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

٣٩. صورة الآخر العربي ناظراً ومنظورا إليه، الطاهر لبيب، بحث (فيلهو هارلي مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،١٩٩٩م.

٤٠. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المتوفى

سنة: (٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه - بيروت، ط١- ١٤١٦ هـ.

٤١. غريب القرآن: أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، المتوفى سنة: (٣٣٠هـ)، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر دار قتيبة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٤٢. الفارابي وتأسيس الفلسفة الاسلامية: ترجمة: د. داود الحاج حسن، دار الفارابي بيروت لبنان، ط١ ٢٠٠٩م.

٤٣. الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي المتوفى: (٦٨٤هـ)، عالم الكتب، بدون طبعة وبدون تاريخ

٤٤. فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكماء من الاتصال، ابن رشد تحقيق ألبير نصري نادر، بيروت دار الشروق، ط ٣، ١٩٧٣.

٤٥. الفكر الوجودي عبر مصطلحه، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد كتاب العرب ١٩٨٥ دمشق.

٤٦. في ظلال القرآن: سيد قطب، طبعة دار الشروق، بيروت ١٩٨٨م.

٤٧. في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي المتوفى سنة: (١٣٥٩هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٤٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٩. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.

٥٠. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: د عثمان جمعة ضميرية، تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٥١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري المتوفى سنة: (١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٥٢. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر، عالم الكتب بيروت ط /١٩٧٩.

٥٣. مفهوم الآخر بين المعنى السلبي والمعنى الايجابي: زكي الميلاد، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات، (الانترنيت)

٥٤. مفهوم الآخر في المسيحية، كرستيان فان نيسبن، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات: (الانترنيت).

٥٥. مقدمة ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، (٧٣٢- ٨٠٨هـ) حقق نصوصه،

وخرج أحاديثه، وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دمشق.

٥٦. مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، محمد السماك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٥٧. المنجد في اللغة العربية المعاصرة: أنطوان نعمة وآخرون، ط٣، بيروت، دار المشرق، ٢٠٠٠م.

٥٨. نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان: جوزيف فوجت ترجمة دمينرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة/ مصر عام ١٩٩٩.